كتاب مرجعي عن القيادات السياسية الفلسطينية ١٩١٧ ــ ١٩٤٨

بيان نويهض الحوت، **القيادات السياسية في فلسطين ١٩١٧ ــ ١٩٤٨**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١، ٩٨٥ صفحة.

لماذا هذا الكتاب؟ تقول الكاتبة في مقدمة كتابها، والذي هو في الأصل رسالة جامعية تقدمت بها الى كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية في الجامعة اللبنانية لنيل شهادة الدكتوراه، بأن الهدف من هذه الدراسة هو «التوصل الى تحديد القيادات السياسية الفلسطينية ومؤسساتها في عهد الانتداب، ثم تحليلها فكرياً وسياسياً واجتماعياً من خلال مسيرتها التاريخية وأعمالها السياسية». وتطرح الكاتبة في سياق، هذا الهدف، توضيحاً من ثلاث نقاط مفادها ان البحث يتناول فترة ثلاثين عاماً من تاريخ المؤسسات أو القيادات السياسية الفلسطينية مما يعني وجود أكثر من مرحلة ضمن هذه الفترة. وتستخلص من ذلك ان القيادة التي «تحملت مسؤولية النكبة سنة ١٩٤٨، ماهي الا احدى هذه القيادات، وهي ليست رمزاً أو عنواناً للقيادات الفلسطينية طوال الثلاثين عاماً، موضوع البحث». كما تشير الكاتبة الى ان البحث تناول بالتحديد القيادات العليا، على المستوى الوطني العام، لا القيادات المحلية للمناطق، مؤكدة أيضاً على ان الدراسة تقتصر هنا على تاريخ المؤسسات والقيادات السياسية الفلسطينية المقررة وليس على تاريخ الحركة الوطنية كلها.

فإلى أي مدى استطاعت الكاتبة ان تحقق الهدف من هذا البحث، الضخم من حيث الكم، والى أي حد التزمت الكاتبة بالهدف المطروح في المقدمة. وما هو الجديد الذي يستفيده القارىء المهتم والمتخصص في هذا المجال؟

اعترف ان عنوان الكتاب، قد شدني اليه بانحياز كامل، بمجرد قراءتي له. وقد أدهشني، للوهلة الأولى، ان تتمكن الكاتبة من اعداد كتاب مرجعي ضخم في موضوع متخصص يتناول بالتحديد القيادات والمؤسسات السياسية الفلسطينية، منذ بداية الاحتلال البريطاني في العام ١٩١٧، وحتى نهاية عهد الانتداب البريطاني في العام ١٩٤٨. وما شدني لهذا الكتاب أكثر، انطباع تكون لدي من قراءات عديدة لكتب وأبحاث في تاريخ القضية الفلسطينية، تناول فيها كتّابها جوانب عديدة من القضية وأشبعوا هذه الجوانب بحثاً وتحليلاً. لكن النقص ظل واضحاً في ما يتعلق بدراسة العامل الذاتي الفلسطيني: تعبيراته السياسية والأيديولوجية، مدى نضجه وتطوره، والعوامل المؤثرة فيه.

في سياق ماتقدم، فان الكتاب الذي نحن بصدده الآن، ليس من ذلك النمط الذي يستوقف القارىء عبر صفحاته، ليقول فيه رأياً حاسماً، جهد قيّم أم وقت ضائع؟. فمن حيث الوثائق النادرة والمعلومات الهامة، والمقابلات التي أجرتها الباحثة مع شخصيات سياسية عايشت التجربة وشاركت فيها بفعالية، فضلاً عن لوائح أسماء القادة والنخبة السياسية وتسليط الضوء على تنظيمات وقوى سياسية ظهرت ثم اختفت، وظل